

بسم الله الرحمن الرحيم

ورقة بعنوان:

# مفهوم السلام الإجتماعي للقبائل السودانية (دارفور نموذجا)

اعداد

د. حاج ابا ادم الحاج

أستاذ مشارك

كلية الموسيقى والدراما

جامعة السودان لعلوم والتكنولوجيا

## مدخل :-

في البدء لابد من إلقاء الضوء على مصطلح السلام الإجتماعي نتعرف على معنى كل منهما والعلاقة بينهما .

السلام لغويا يعني البراءة من العيوب والسلام من أسماء الله تعالى ، يتضح لمعنى اللغوي لمفردة السلام من اللغة وأول هذه المعاني أنها أحد أسماء الله الحسنى (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام)<sup>1</sup>.

أما اصطلاحاً فمفردة السلام تشمل الترتيبات المفضية للتصالح والاتفاق ورتق النسيج الإجتماعي ، والسلام هو حالة من التوافق تتحقق إذ توافر بين طرفين الإنساج وعدم وجود عداوة ، يمكن وصف السلام على مستوى الشعوب حيث العلاقة بين هذه الشعوب والتي تنتم بالاحترام والعدل وحسن النوايا ، السلام أيضاً نوع من الهدوء والسكينة لدى الإنسان حيث تؤثر على نفسيته بشكل يدفعه للتعامل مع الآخرين بهدوء وسكينة مماثلة وهو ما يعرف بالسلام الداخلي للإنسان ، والسلام مفهوماً يعني التعايش الآمن سواء تعايش الدولة مع جيرانها أم تعايش الفرد في محيطه الإجتماعي ولكن الاختلاف يكمن في أدوات صنع ذلك القرار الآمن .

المقولة الأساسية في علم الثقافة والشخصية تركز على أننا نتكيف مع العالم وبتكيفنا نكيفه وبعضنا آياه نصنع أنفسنا ، فهناك تفاعل دائري وهو أن الفرد لا يعرف ذاته الأمني خلال المجتمع الذي يحيط به ، فالتجمع يصنع الشخص والشخص يصنع المجتمع ، إذن أننا عندما نولد في مجتمع قد يكون أسرة صغيرة أو أسرة ممتدة من هذا المجتمع والمجتمع هو الذي يشكل طبيعتنا وقيمنا وثقافتنا ،

<sup>1</sup> الثقافة والشخصية ، بحث في علم الإجتماع الثقافي ، د. سامية حسن ، ص 7 .

نأخذ تلك القيم ونخرج بها إلى العالم إلى المدرسة ، الجامعة المجتمع في حولنا وهي مجتمع حولنا نأخذ القليل من الطباع والثقافات لأن الإنسان بفطرته قابل للتعليم والاكساب ، وهذا يؤكد أن أي معرفة تتكون تكون نتيجة لعلية إدماج أو اشباع فالثقافة تشكل لشخصية وتصوغها عن طريق إدخال التراث الثقافي والمعتقدات والقيم من تكويننا الإجتماعي وبهذا كله تقوم عملية التنشئة الإجتماعية فهي المسؤولة عن ذلك .

إن وحدة المجتمع تؤدي إلى الثقافة الإجتماعية الجيدة الي بدورها تؤدي إلى السلام الإجتماعي ، فمكان أي مجتمع ورغبتهم المشتركة في العيش وفي الإنتماء هي التي تؤدي إلى السلام الإجتماعي ، وأن تجانس المجتمع مهمة من حيث الاشتراك في اللغة العادات والتقاليد والعرف والدين والآمال ، والأيدولوجيا كلها طرق تؤدي إلى السلام الإجتماعي .

فالأسرة والقبيلة والعشيرة كلها مصطلحات تعبر عن تعايش وعن مصالح كشرتة إذن هنالك سلام إجتماعي فه لا يرتبط بمنطقة معينة ولا يعرف ولا هو به هو للجميع مثل حق الحياة فهي أيضاً للجميع .

إذن التعايش الثقافي هو أيضاً طريق إلى سلام إجتماعي أما الانقسام الثقافي يؤدي إلى كثير من المشكلات ، حركات الانفصال الحروب الأهلية وغيرها المشاكل التي قد تؤدي إلى انهيار دولة بما لها ، عندما نتحدث عن التعايش الثقافي فلا بد أن نتحدث عن حوار الحضارات وليس صراع الحضارات لأن الحوار الهدف منه المشاركة تعريف حضارات الأشخاص بعضهم البعض وهو أيضاً بدوره أداة فعالة في تحقيق السلام الإجتماعي .

إن الأعراف والتقاليد هي جل حياة هذا الكم الهائل من القبائل السودانية وما زالت هي الأقوى في ترتيب المعاملات بين أفراد هذه القبائل في ما بينها وبين يجاورها من قبائل أخرى وهذه الأعراف هي وسائط التحوط والوقاية في التصادم والاضطراب وأيضاً وسائل تخفيض حدة التوتر والحروب واحتوائها حيث أن هنالك آليات لدرء الصراعات والوقاية من الاحتكاك التصادم بين المجموعات القبلية .

السعى الناجح من طريق فض النزاعات الشائك يتطلب أن نعي ونسلم بأننا في سبيل الشروع في عملية إجتماعية فعمليات فض النزاعات واستدامة السلام هي عمليات تلازم الحياة في جماعة ، وما سمي فرداً إلا لتفرده بخصائص لا تجدها عند أقرب الناس إليه ، وأن النزاع سمة طبيعية في حياة البشر ولولا التنوع والتعدد والاختلافي في المجتمعات البشرية ما كانت الحياة<sup>1</sup> .

والنزاع قرين العنف من درجاته المختلفة وفي أشكاله سواء كان عنفاً مباشراً Overt violence أو عنفاً مؤسسياً Structural violence .

تكمن مشكلة السلام الإجتماعي في الصراع والعنف بمختلف أنواعه فعلماء الإجتماع حددوا العمليات الإجتماعية ، في التنافس ، العرف لقد جعل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مختلف الأعراف المقيمة في المدينة يتألف فيما بينها عن طريق اتفاقيات إجتماعية ، من أجل توفير الوحدة الإجتماعية والسلام الإجتماعي ، وقد عقد اتفاقيات مختلفة مع أكثر من مائة جماعة ، تارة عن طريق الرسائل وتارة عن طريق الحديث معهم بنفسه ومن لال تلك الاتفاقيات توصل إلى وفاق معهم . بعدما هاجر نبينا الكريم من مكة إلى المدينة ، إتقى مجتمعات مختلفة من

<sup>1</sup> د. الطيب حاج عطية ، مدخل مفاهيم النزاع السوداني اليوغندي ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، 2001م ، ص 11 .

الناس ، ففي ذلك العهد كانت المجتمعات اليهودية والنصرانية ذات النفوذ ،  
والمشركون الذي لم يدخلوا الإسلام في ذلك الوقت من المدينة يعيشون معاً في  
نفس المنطقة ، والباحث والبمشر الإنجليزي (ت و أرنولد) عبر عن أهمية الوحدة  
الإجتماعية التي شكلها سيدنا محمد ﷺ كانت أن لك البلاد  
العربية التي لم تطع أميراً أبداً من قبل أصبحت وحدة إجتماعية ، وحدة إجتماعية  
من القبائل العربية المتعددة الصغيرة والكبيرة والمكونة من حوالي مائة جماعة  
إجتماعية صغيرة ومتنازعة فيما بينها .

بعدما فتح سيدنا محمد ﷺ مكة أطلق سراح المشركين  
الذين كانوا يعذبون المسلمين من قبل وأيدي تسامحاً تجاههم هذه الأخلاف الحميدة  
التي أظهرها عليه الصلاة والسلام لم يسبق لها مثيل في المجتمع العرب وقد قوبل  
بتقدير .

في ذلك العهد كان سيدنا محمد ﷺ مثلاً لكل المسلمين في  
موضوع تطبيق العدالة الحقيقية في البلدان المجاورة ، وقد طبق نبينا الكريم  
التسامح والعدالة التي ذكرها القرآن الكريم تجاه الشعوب في كل البلدان التي  
حكمها ، وعقدتها اتفاقيات ترضى الطرفين وتمنع حدوث حتى أقل مستوى الظلم ،  
بهذا السبب فإن الشعوب مهما كان عرقها ودينها ، كانت مختلفة دائماً من السلام  
والتسامح والعدالة التي جلبها الإسلام وقد أصبح سيدنا محمد ﷺ  
والصحابية أمة تحقق العدالة بين الناس ويؤكد ذلك قوله عز وجل { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا  
أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> سورة الأعراف ، الآية (181) .

إن الاتفاقية التي عقدها رسول الله ﷺ مع شعب (نجران) المسيحي من الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، وهي في أفضل التسامح والعدالة وأن بنود الإتفاقية تقول الآتي :-

"إن أرواح وأموال ودين وممتلكات وعائلات وكنائس وكل ما يملك أهل نجران ومن في معيبتهم ، ستكون تحت حماية الله ورسوله"<sup>1</sup>

لقد كان سيدنا محمد ﷺ عن طريق هذه الاتفاقيات التي عقدها مع أهل نجران وسيلة لتوضيح الأخلاق الإسلامية الحميدة في المجتمع ووسيلة لعيش أهل الكتاب مع المسلمين في طمأنينة وسلام ، وهذا يؤكد قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)<sup>2</sup>.

إن أخلاق الإسلام معتدلة وسليمة جداً ، والإسلام هو دين أنزل من أجل أن يقوم للناس حياة مليئة بالطمأنينة والسلام وتجلت فيه رحمة الله الأبدية وعطفه ، إن الله يدعو كل الناس إلى أخلاق الإسلام كنموذج يمكن أن يعيش الناس من خلاله الرحمة والعطف والتسامح والسلام على وجه الأرض .

إن مسئولية مهمة تقع على عاتق الجميع في هذا الموضوع مهما كان دينهم والله تعالى في القرآن الكريم يأمر المسلمين بالتوحيد مع الديانات السماوية يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ماجد خضوري ، الحرب والسلم في الإسلام ، منشورات المنارة ، ص 209 .

<sup>2</sup> سورة البقرة ، الآية (208) .

<sup>3</sup> سورة آل عمران ، الآية (64) .

عندما يتفق المسلمون والمسيحيون واليهود على كلمة مشتركة في إطار الحب والاحترام والسلام والتسامح المتبادل ، فإن العالم سيكون ، مكاناً مختلفاً ، تنتقي كل الاشتباكات والحصومات والمخاوف والأعمال الإرهابية وستشكل حضارة جديدة مع الكلمة المشتركة مبنية على الحب والاحترام والطمأنينة والله سبحانه وتعالى يلفت انتباه الناس إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم ، ويقول (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ..)<sup>1</sup>.

ونلاحظ أن التطورات التي حصلت بعد الحادث المؤسف في أمريكا تظهر أن بذور هذا التعاون قد بين المسلمين والمسيحيين قد أثمر ، وأدى هذا الحادث إلى بدء التقارب بين المجتمعين المسيحي والمسلم وأدى إلى قيام كثير من المسيحيين بالتعرف على الدين الإسلامي وسماحته عن قرب وشروع المسلمين أيضاً من أجل شرح أخلاق الإسلام الحقيقية التي عرفها القرآن .

بإذن الله سيكون القرن الحادي والعشرين ، قرناً يعيش فيه الناس جميعاً بالأخلاق التي تؤكد هذه الديانات السماوية وهو السبيل الوحيد لإحلال الطمأنينة والسلام المنشود على وجه الأرض لأن الجامع والكنيسة والحررة هي أماكن مهمة يذكر فيها اسم الله ويعبد فيها ، والله سبحانه وتعالى يلفت الانتباه في القرآن الكريم إلى ضرورة احترام وحماية العبادة .

بقدر ما كان رحيل زعيم الحركة الشعبية (د. جون قرنق) يحمل كل سمات الفجيعة إلا أن التداعيات الأليمة التي انبعثت على الصعيد الإجتماعي كانت من الحزن والأسى .

---

<sup>1</sup> سورة المائدة ، الآية (82) .

لقد أبانت الاضطرابات الفوضوية التي ضربت أنحاء العاصمة القومية وبعض المدن الكبيرة حقيقة بشعة طالما تحقت من طياتها عدم وضوح الحقيقة ، فقد كشفت هذه الأحداث عن هشاشة السلام الإجتماعي بين أبناء الوطن الواحد ، لذلك قد أصبح السلام الإجتماعي هماً وهاجساً تسعى لتحقيقه منظمات المجتمع المدني بكافة قطاعاتها .

ما كان التفجير بركان العنف الجارف أبان الاضطرابات تلك أن يدهش المراقب كحال قاضي المعسكرات المخططة والمؤقتة والعشوائية والأسر المبعثرة وسط العاصمة ، وما قد أولئك الذين أداروا مجريات الأحداث التي أعقبت الفاجعة ، كان حري أن ترفع درجات التحسب والتحوط إلى أعلى درجة ممكنة من الوهلة الأولى للمأساة وأن تشكل مجموعة إدارة الأزمات في خبراء في التخصصات التي تعني متخذي القرار ومن ممثلي الأجهزة للحصول على المعلومات الضرورية ساعة بساعة ترقب وتحلل وتعد هذه المجموعة الخيارات وتقتراح الأوليات لمواجهة الموقف الحرب قبل أن ينفجر .

فالأزمة السياسية مع أقراننا بها إلا أنها ليست سوى انعكاس لأزمات الوطن الإجتماعية والثقافية والإقتصادية ومؤخراً الدينية العميقة ، وأي محاولة لطرح الأشكال السياسية بهذا النوع في التجريدية التي درجت عليها الساسة لهو نوع لا يفي إلا إلى مزيد من التعقيد في المجتمع ومزيد من إهدار الفرص الحقيقية لتجنب البلاد الانشقاق والتفتت والذي بات الآن هو السيناريو الأقرب كما لم يكن من قبل ، لأن الانصراف نحو إيجاد حلول سياسية توفيقية لا تصمد طويلاً أمام التناقضات الإجتماعية ، والدينية ، والثقافية والتي لا تنتج الأمل تلك الحوادث التي أعقبت وفاة (د. جون قرنق) .



لقد ضاعت ومنذ زمن بعيد في زحمة التدافع السياسي الجهود الحقيقية لما يكن تسميته بأجندة السلام الإجماعي ، الثقافي المستوعب وعباً عميقاً بأسس التنوع العرقي الثقافي الديني والذي يشكل بنية الوطن .

ساهمت الأعراف والتقاليد في دارفور في رتق النسيج الإجماعي بصورة فاعلة ومن التقاليد المهمة في دارفور ما يسمى (الراكوبة) و(العوائد) وهي يتفق عليه القبائل لمعالجة النزاعات المتعلقة بالتعدي على الممتلكات بسوء نية .

تشكل القبيلة رقماً يصعب تجاوزه في ظروف دولة كالسودان بمساحتها الشاسعة ، أن القبيلة تعتبر وحدة إجتماعية وإقتصادية وسياسية (مجتمع بأكمله) مجتمع متماسك بولاء طوعي يجذب الفرد نحو الجماعة لما يوفر من حماية وضمان وهوية وهدف ووسيلة لتحقيق الذات تحكم مجتمع القبيلة قيم ومبادئ تنظم الحياة داخل كل مجموعة وفي نفس الوقت ترتب العلاقة البيئية بين المجموعات بغية المساكنة والمعاشة عبر آليات انسجام إجتماعي وتعايشي .

نظمت حياة القبائل والجماعات ثلاث مؤسسات أصيلة ، نشأت من داخلها وتطورت معها عبر الزمن في دارفور خلال المتغيرات الإجماعية والإقتصادية والسياسية وهي (الدار) و(الأعراف) و(الإدارة الأهلية هذه المؤسسات تكمل بعضها البعض)<sup>1</sup>.

فالدار بمسمياتها المختلفة في (حاكورة) هي أرض القبيلة ، تمثل الإطار الجغرافي للقبيلة وتمثل الأعراف والشرائع والقوانين والإجراءات المنظمة للقبيلة ، وتشكل الإدارة التقليدية للقبيلة التي تعرف اصطلاحاً عند أهل الحضر بالإدارة الأهلية هي الآلية التي تسوس الدار باسم القبيلة من خلال تطبيق الأعراف عليها

<sup>1</sup> أحمد عبد القادر ، تاريخ دارفور ، عبر العصور ، الجزء الأول ، الخرطوم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، 1967م ، ص 52 .

وعلى غيرها من القبائل ، هذه المؤسسات الثلاث شكلت أسباب الاتزان الإجتماعي وكونت السلام الإجتماعي للقبيلة خلال الوحدة والعلاقات البيئية مع القبائل الأخرى.

إن أهم أسباب تحقيق السلام الإجتماعي بين القبائل خصائص هذه المجتمعات وهي<sup>1</sup>:-

- الانفتاح والمرونة للذات تميزت بها القبائل صاحبة الدار والتسامح العرض الذي عقده القيم النابعة من الموروث القبلي ، فضلاً للقيم الدينية وسهولة سبل كسب العيش في ظل طبيعة معطاء بفضل الله سبحانه وتعالى وغياب التنافس على الموارد ، ينجم عن ذلك استعداد فطري لمشاركة الغير في خبرات القبيلة ، هذه المشاركة من أكبر عوامل التماسك الإجتماعي ، ونظمت هذه الرغبة الفطرية لإستعمال المواد .

- إحترام الوافدين وقبولهم بالالتزام بأعراف وتقاليد أهل الديار والاستقرار والمساكنة بالرضا ، والموافقة على الانضواء تحت راية النظام الإداري العرفي السائد ، والتشرب بالثقافة والقيم السائدة أو على الأقل مسايرتها وتجنب تحديدها ، وتعاهد الوافد والمستقبل على وحدة المصير في (الدية) وإعلان التزاوج والانصهار .

- مرونة الأعراف وتطورها الذاتي ومواكبتها للمستجدات في تطوير تشريعاتها في حدود الممكن بالتراضي والتوافق .

- النظام الإداري الذي يساس من خلال المجتمع ويطبق العرف ، نظام مبني على الرضا والالتزام من قبل المواطنين وقيادات القبائل ، فزعيم القبيلة

<sup>1</sup> د. إبراهيم البزعي ، ثقافة السلام وأدب الحرب ، شركة المطابع السودانية للعملة ، الخرطوم ، 2005م ، ص 61 .

ومن يعاونه رموز للقبيلة لذلك يجب طاعتهم لأنهم يستمدون شرعيتهم من رعاية وأعراف وتقاليد المجتمع ، هذه الآليات حفظت توازن السلام الإجتماعي ، ولم يكن العرف والتقاليد كحاجز عند التعامل بين المواطنين بمعنى آخر أنها أي العرف والتقليد مبرأة من العنصرية لذلك رتبت العلاقة بين القبائل المجاورة بعض النظر عن الجنس.

• هذه الآليات التقليدية بين القبائل السودانية لم تمنع حدوث النزاعات والاحتكاك والحروب بين هذه القبائل وفي داخل القبيلة الواحدة ، لكنها أي الأعراف والتقاليد عملت لدرء حدوث المنازعات واحتوائها والحد من آثارها السالبة عند حدوثها ومعالجتها ، ولقد أدت قوة ضبط المؤسسات الإجتماعية إلى استقرار الأرياف من خلال القيادة الحكيمة لزعماء وقيادات العشائر والقبائل وعبر علاقاتهم الأفقية المستمرة عبر القبائل من خلال الصداقات والمصارهرات والحكمة في إدارة شؤون الحياة الإجتماعية بالقبيلة وفق أعراف رسخت من الوجدان القبلي .

ولعل الأعراف هي المنشئة لقوة التماسك ورتق النسيج الإجتماعي لهذه المجتمعات السودانية ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا ؟

هنالك عوامل كثيرة أدت إلى ضروب التمسك بحكم الأعراف والتقاليد وأن تتراض هذه القبائل عليها منها<sup>1</sup>:-

1- الجيرة والتداخل ولكن استحالة تجنب الاحتكاك والتنازع والصراع كواقع متلازم للتجاور (المجاورة الاسنان ، للسان ، غلظت الاسنان على اللسان) ، فلولا وجود هذه الأعراف والتقاليد التي تحكم حياة القبائل السودانية

<sup>1</sup> المرجع السابق ، ص 92 .

لتهاكت المجموعات القبلية على اختلاف حياتها الرعوي وفي الزراعة  
...إلخ .

2- الظروف الطبيعية وما ينجم عنها من احتمالات تؤدي إلى الاعتماد  
المتبادل بين هذه القبائل المتجاورة ، لأن المتغيرات المناخية وما ينجم  
عنه جفاف وسيول وآفات تحتم الحاجة لآلية لتقليل تلك المخاطر ، ويحتم  
ذلك إنشاء تعاون بين هذه القبائل الموجودة لقسمه الموجود في سنوات  
العسرة واستغلال الموارد بالمنطقة الجغرافية الواحدة لذلك فإن العلاقة  
تكاملية بين هذه القبائل وينجم عن ذلك التعاون والتعاقد قيمة السلام  
الإجتماعي .

3- أيضاً هنالك السبب الغريزي أي المحافظة على النوع ويتطلب ذلك درجة  
عالية من التسامح والتساهل في استرداد الحقوق بين هذه القبائل وجبر  
الخزاطر ، وإزالة المرارات بين هذه المجموعات القبلية لأن هذه  
المرارات تولد الحقد والكرهية بين أفراد القبيلة ويؤدي ذلك إلى الحروب  
والنزاعات التي تفقد أفراد الجماعة الكثير من الأنفس لذلك فإن أهمية  
المحافظة على النوع في وسائل سلام إجتماعي .

4- الوجدان هذه الأعراف وجدانية مرتبطة بالأرث الثقافي لهذه القبائل  
وتراثها ومن أهم وجدانيات هذه القبائل إبقاء سبل منافذ الاتصال بينهم  
فاتحاً وموصولاً في كل الظروف ، هذه الاتصال يؤدي إلى الحوار  
والحوار من أهم ركائز السلام الإجتماعي .

تتشارك كل قبائل السودان من احتكامها إلى العرف ورضائها به وإن  
اختلفت التفاصيل باختلاف البيئة والموقع الجغرافي بهذه القبائل وسبل كسب العيش

وحسب الظروف الخاصة لكل قبيلة لم تقنن الأعراف والتقاليد في شكل مواد قانونية تضبط حياة هذا الكم الهائل من القبائل السودانية .

دارفور جزء أصيل بل ومهم في كل ما ذكر ، إذ يبلغ عدد الإدارات الأهلية فيه (42) إدارة حتى عام 1990م<sup>1</sup>.

ويعني ذلك أن نسبة الإدارات الأهلية بولايات دارفور تبلغ نسبة 41% من جملة الإدارات الأهلية في شمال السودان مما يعطي دارفور وضعاً خاصاً وواقعاً يصعب تخطيه .

تنظم الأعراف والتقاليد والسوالف (السوابق) جل حياة هذا الكم الهائل في القبائل السودانية وما زالت الأقوى من المعاملات بين أفراد هذه القبائل فيما بينها وبين من يجاورها من قبائل أخرى وهذه الأعراف هي وسائط التحوط والوقاية من التصادم والاحتداب وهي أيضاً وسائل تخفيف حدة التوتر والحروب واحتوائها وحلها من خلال آليات للتحسب والوقاية في الاحتكاك والتصادم بين المجموعات القبلية نوجز أهمها في الآتي<sup>2</sup>:-

- تنظيم استخدامات الأرض بين الرعاة والزراع دون تصادم بين المصالح ، يتحدد مشاركات عبر المزارع لمرور الحيوانات أثناء ترحال الرعاة .
- التحالفات والمعاهدات بين القبائل في تعهدات أخوي تجعل دماء كل فرد من القبائل المتحالفة دماً واحداً محرماً إراقتة .
- المصاهرة وسيلة أخرى للوقاية ، خاصة بين قيادات القبائل حتى يكونوا قدوة مشجعة لبقية أفراد القبيلة .

<sup>1</sup> عبد الخالق السر ، الديمقراطية والعلمانية في السودان ، مجلة المحور ، العدد 1282 ، 2005 ، الموقع الإلكتروني

[caricaelsir@hotmail.com](mailto:caricaelsir@hotmail.com)

<sup>2</sup> التغيير الاجتماعي والتنمية مدخل نظري ، حيدر إبراهيم علي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1982م ، ص 42 .

• الصداقات والهدايا بين قيادات القبائل عبر الزيارات المتبادلة وحضور المناسبات أفراحاً لبقية أفراد القبيلة .

• المهرجانات السنوية (الزفة) وهي مرتبطة بمواسم أعياد وتساهم الزفة في اشعاع المناخ الفرائحي من سباق الهجن والخيول لترسيخ الرغبة في التعايش السلمي .

ذكرنا أن هذه الأعراف والتقاليد قديمة قدم وجود القبائل السودانية في كل منطقة في السودان تتوارثها الأجيال لذلك من الضروري تدوين هذه الأعراف الموروثة وتطويرها لتناسب المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية لقبائل السوان ، لأن عدم وجودها سوف يحل التوازن الاجتماعي وبالتالي الخلل في السلام الاجتماعي التي تعتبر هذه الأعراف من ركائزها العامة لأنها رادعة لمن يتعدى على سلامة الأنفس والثمرات لذلك لا بد أن تواكب هذه الأعراف والتقاليد المتغيرات من حيث قيمة الذي سواء كانت ديةدماء أو إصابة أعضاء الجسد أو التعدي على الشرف أو إهانة السمعة أو القتل ، للدية مقاصد رادعة للجاني وحقن الدماء وتطيب النفوس وتعويض من فقدوا من يعولهم ، والدية في القتل العمد هو القصاص .

الأعراف تبني متابعة أثر الجاني أو الجناة فلو اختفى عند قرية أو قربها أو في منطقة قبيلة بعينها يطلب عرفاً في هذه الحالة من السكان إخراجهم ، والجودية مؤسسة إجتماعية كاملة البنية ، عمادها أفراد يعتبرون مراجع من أعراف القبيلة (كالدوانة) عند قبيلة الفور ، وهم يمثلون ذاكرة القبيلة في الأعراف ، وهم حفظة السوابق الكيفية التي حلت بها المشاكل والمسائل المتشابهة في الماضي .

الجودية من الآليات الهامة التي تحقق السلام الإجتماعي في القبيلة إذ تمر  
الجودية بأربع مراحل هي<sup>1</sup>:-

### المرحلة الأولى :-

مرحلة المساعي الحميدة ، وهي مرحلة لتطيب الخواطر وإيقاف نزيف الدم  
في حالة الحروب ، والتعهد بعد التعدي أو الانتقام ، وهي مرحلة تمهيدية للقيام  
بوساطة للمصالحة بين الفرقاء ، لأن الأطراف في حالة توتر ومرارات ، بغير  
قبول مبدأ تهدئة الحال وإبقاء الأمور على ما هي عليه وهي إشارة مشجعة لقبول  
التصالح .

### المرحلة الثانية :-

وهي مرحلة قبول الصلح ، وتأتي بعد وقت يجف فيه الدماء ، يسعى  
الوسطاء للحصول على موفقة مبدأ الصلح بين الطرفين ، ويتم الاتصال بأعيان  
القبيلة في الطرفين ومتى ما تم القبول يتفق على زمان ومكان الصلح ، عادة مت  
تكون في أرض محايدة ، بعد ذلك يتم اختيار عدد من الأجاويد المقبولين  
للأطراف.

### المرحلة الثالثة :-

هي مرحلة الدخول في الحوار (التفاوض) حيث يبدأ الأجاويد بمحاورة كل  
طرف على حده ، والسماع من دون ضجر أو مقاطعة أو تعليق لوجهات نظر كل  
طرف ، ثم يجلس الأجاويد منفردين لتداول ما سمعوه لتحسس طريقهم نحو الوفاق  
بين الطرفين ، ثم يجمعون الطرفين لمواجهة بعضهم بعض دون إساءة أو  
استفزاز .

<sup>1</sup> المرجع السابق ، الموقع الإلكتروني .

## المرحلة الرابعة :-

يجتمع الأجاويد منفردين لبلورة حلول توفيقية مستتبطة من رؤى الطرفين ، ثم يتم تقديم الحلول لكل طرف على حدة ، يتم مناقشة الحلول وتؤخذ في الإعتبار ثم يعاد صياغة الحلول ، تدون الحلول في الصورة النهائية لتعرض على القبيلة في شكل إعلان لما توصل حسب الأعراف وهذه الحلول ملازمة للطرفين .

تدخلت عدة عوامل ومتغيرات سياسية وإقتصادية وإجتماعية أثرت على التوازن الإجتماعي سلباً وأيضاً على السلام الإجتماعي مثل الجفاف والتصحر وتداعياتها على المراعي وزيادة الطلب على استخدام الأرض ، الجناة فإن لم يفلحوا في تحديد الأثر أو إخراج الجناة ، توجه إليهم ارتكاب الحادث كمجموعة ويلزموا بالدية في حالة القتل ، أو التعويض في حالة النهب أو السرقة ردعاً لهم ، القصد هنا منع التستر على الجناة من جانب واستعمال قوة الضغط الإجتماعي على أفراد الجاعات بضبط سلوكهم من جانب آخر ، ويطلق على هذا النوع من الديات الدية (المعاجية)<sup>1</sup> وهي دية (القسامة) في الشرع التي عمل بها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقض أن يوجه أهل المقتول الاتهام إلى خمسين من رجال المنطقة التي وقع فيها القتل المجهول ، ويطلب منهم أداء القسم على أنهم لم يقتلوه ولا يعرفون القاتل ، وبعد القسم تفرض على سكان المنطقة الدية الشرعية وتسلم الدية لأولياء الدم .

ومن التقاليد والأعراف في دارفور والتقاليد في دارفور والتي تعمل بمثابة تشريعات وقوانين وإجراءات تنظم وتضبط حياة القبائل ويطبق ذلك الأعيان من قادة القبائل من خلال نظامهم العشائري وأن قائد القبيلة سواء كان السلطان أو

<sup>1</sup> عبد الخالق السر ، الديمقراطية والعمانية في السودان ، مجلة المحور ، العدد 1282 ، 2005 ، الموقع الإلكتروني [caricaelsir@hotmail.com](mailto:caricaelsir@hotmail.com)



الناظر هو الذي يفصل في المسائل العادية مع أعوانه في القبيلة التي تنشأ بين أفراد القبيلة ، بينما مؤسسة الجودة تعالج المسائل الكبيرة بين القبائل<sup>1</sup>.

يطلق اسم الجودة على عملية الوساطة من خلال طرف ثالث لحل النزاع بين طرفين أو أكثر ، والجودة آلية تسخر قوة عادات وتقاليد وقيم وأعراف المجتمعات في دارفور لمعالجة وفض النزاعات بين الأفراد والجماعات ، ولبناء السلام على المستوى القاعدي بين السكان في قرى وأرياف دارفور ، وهي ضاربة الجذور بين مجتمعات دارفور منذ القدم ، وأصبحت ثقافة سلام متطورة تساهم بصورة فاعلة في استدامة السلام الإجماعي وهي مؤسسات لها قواعد وقوانين صارمة لفض النزاعات بين القبائل السودانية عموماً وأهالي دارفور بصورة خاصة .

يقوم بالجودية وجهاء القوم وقادة المجتمع ويتولى هؤلاء الصفوة عملية الوساطة بين الفرقاء أما بمبادرة ذاتية أو عبر الطلب في أطراف النزاع أو طرف واحد من المتنازعين أو بطلب من أهل الخير بالقبيلة .

والتنافس بين المزارعين والحيوان ، هذه العوامل ساعدت في إضعاف المؤسسات التقليدية التي حافظ على السلام الإجماعي عبر الأجيال .

مؤسسات السلام الإجماعي في هذه القبائل تستطيع المساهمة في ثلاثة

محاور:-

أولاً :-

---

<sup>1</sup> عبد الخالق السر ، مرجع سابق .

إعادة الثقة ورتق النسيج الإجماعي بين قبائل السودان بصورة عامة وقبائل دارفور وإحتواء النزاعات وحله وبناء السلام الإجماعي المستديم وتشجيع الذين ما زالو بالمعسكرات وتطمينهم للعود إلى ديارهم ، وتأكيد حمايتهم .

ثانياً :-

إحتواء النزاعات ومنع تصاعده تمهيداً لحله وذلك عبر معرفة الأفراد والجماعات التي تقوم بهذه النزاعات لتشجيعهم للعودة أو قبول المصالحة عبر الحوار .

ثالثاً :-

مساهمتهم في بناء السلام الإجماعي المستدام ، لمعرفة سلوك أفراد مجتمعاتهم ومقدرتهم على معرفة الجناة الأعراب ، أيضاً يسهل عليهم معرفة الخروقات ومصادرهما .

## الخلاصة :-

على ضوء كل ما تقدم ذكره ، فإننا نحلم في السودان بسلام إجتماعي يكون أساسه الحياة الكريمة أساسه تلبية احتياجاته الأساسية من غذاء وماء وصحة وتعليم وسكن وحماية المجتمعات السودانية والحماية تعني درء المخاطر التي تهدد الحياة وتهدد السلام الإجتماعي كنشوب الصراعات والحروب .

تداخلت عوامل ومتغيرات سياسية وإقتصادية وإجتماعية أثرت سلباً على التوازن الإجتماعي والسلام الإجتماعي في دارفور ، مثل الجفاف والتحرر وتداعياتها على المراعي وقلة إنتاجية الأرض وكذلك أدخلت إقتصاديات جديدة ، يضاف إلى ذلك الهجرة في دو الجوار إلى دارفور أدى ذلك لدخول قيم مختلفة ودخول أسلحة نارية وجدت سوقاً عند المواطنين ، وقد ساعد وجود هذه الأسلحة على تشجيع النهب المسلح كظاهرة دخيلة على المجتمع في دارفور ، أيضاً حل الإدارة الأهلية وإضعافها حتى عندما أعيدت وأيضاً ظهور مؤسسات منافسة لها .

كل ذلك أثر سلباً على تكوين المجتمع في دارفور وساعدت على تآكلاً من الأعراف والتقاليد وإضعافاً للمؤسسات التقليدية التي حافظت على السلام الإجتماعي عبر الأجيال ، ولكن هل يعني ذلك نهاية دور هذه المؤسسات ووضعها في متحف التاريخ أم ما زال لها دور في بناء السلام الإجتماعي واستقرار المجتمعات الدارفورية لذلك لابد من تحريك وتفعيل طاقات هذه المجتمعات الدارفورية خاصة في مسألة فض النزاعات وبناء السلام الإجتماعي المستدام ، إذ أن هذه القيادات التقليدية يمكنها المساهمة في إعادة الثقة ورتق النسيج الإجتماعي واحتواء النزاعات لأن بين القبائل في دارفور وحله ويمكنها بذلك بناء السلام الإجتماعي .

## المراجع :-

- 1- القرآن الكريم .
- 2- د. الطيب حاج عطية ، مدخل المفاهيم النزاع في السودان – دار جامعة الخرطوم للنشر 2001م .
- 3- ماجد خضوري ، الحرب والسلام في الإسلام ، منشورات المنارة .
- 4- أحمد عبد القادر ، تاريخ دارفور عبر العصور ، الجزء الأول ، الخرطوم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، 1967م .
- 5- إبراهيم البزعي ، ثقافة السلام وأدب الحرب ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم ، 2005م .
- 6- التغير الإجتماعي والتنمية مدخل نظري ، حيدر إبراهيم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ، 1982م .
- 7- عبد الخالق السر ، الديمقراطية والعلمانية في مصر والسودان ، مجلة المحور العدد 1282 ، 2005 الموقع الإلكتروني.
- 8- د. الطيب حاج عطية ، منظمات المجتمع المدني الديمقراطية والسلام ، مجلة أفكار جديدة ، العدد 7 ، 2003م .